

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحيكم المشرف على الموقع أبي عبد الله صادق بن عبد الله
إلى أخي الكريم المتصفح لموقعنا جعلنا الله وإياك من المباركين حيثما كنا.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فهذه كلمات في رحاب قول الله تعالى: { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [التوبة: ١٢٢].

فأقول: علينا عباد الله ونحن نذكر ونتذكر دائما ونسرد الأدلة في أهمية الجهاد باللسان وعظيم فضله ومنزلته في الدنيا والآخرة أن نتذكر ونشيد بجهاد اللسان بالعلم الشرعي والصدع به وبثه وتعليمه ، لتحصل البصيرة وتفند الشبهات ويندحر المبطل بالحجة والبيان والنور والبرهان فقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْكٰفِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ الفرقان [٥٢] قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: (فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم فنديقك ضعف الحياة وضعف الممات ولكن جاهدكم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ويدينوا به ويدعونوا للعمل بجميعة طوعًا وكرهاً وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس قوله: ﴿فَلَا تَطْعِ الْكٰفِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ قال: بالقرآن). اهـ.

وقد سمي الله تعالى تعلم العلم وتعليمه ونشره وبثه جهادًا ونفيرًا كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة ١٢٢] ولهذا فللعلم وأهله سهم من الزكاة فهم من جملة النافرين في سبيل الله وهذا مذهب جماعات من أهل العلم، وقد جاء التصريح بأن طالب العلم في سبيل الله - ولكن الحديث ضعيف - وهو ما أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع» قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم فلم يرفعه. بل إن تفرغ طلاب العلم والإنفاق على العلماء من أكد الأمور ومن أعظم أسباب الرزق كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف فشكى المحترف أخاه إلى النبي ﷺ، فقال: «لعلك ترزق به» قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ومهمة وأهمية العلماء في الأمة لا ينكرها إلا جاهل مفتون أو ضال ظالم لنفسه، فهم الذين أشهدهم الله تعالى على أعظم شهادة، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران [١٨]، واكتفى بإيمانهم فقال جل من قائل عليًا: ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا وَعُدُّ رَبَّنَا لِمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ الإسراء [١٠٧-١٠٩]، وقال تعالى:

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج ٥٤]، ورفع مكانتهم فقال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة ١١]، وأثنى الله تعالى على فهمهم ومعرفتهم وفراسطهم فقال تعالى كما في قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص ٧٩، ٨٠] وأحال عليهم لمعرفة وتعلم شرعه جل وعلا فقال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبا ٦]، وبين أنهم هم حفاظ شرعه فقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت ٤٩]، بل وأمر بسؤالهم فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل ٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء ٧]، فعليهم واجب عظيم وجهاد كبير ببيان الحق والصدع به والقيام به حق القيام، فهم على ثغرة عظيمة ولا قوام للأمة بدونهم، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلكم معاشر العلماء.

وكما أنهم هم ورثة الأنبياء في الدنيا وهم أهل الفتوى وبيان الأحكام في هذه الدنيا فكلمتهم هي النافذة في ذلك عند سائر عباد الله المتقين فهم كذلك المتكلمون يوم القيامة فهم الذين يؤذن لهم بالكلام يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم يوم لا تسمع إلا همسا كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل ٢٧].

فهم أهل جهاد العلم وإقامة الحججة وتبليغ الدين وهم المنافحون عن دين الله وكتبه ورسله حتى قال الحسن البصري: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء» وروي مرفوعاً ولا يصح بل هو إلى الوضع أقرب إن لم يكن كذلك.

حتى قال ابن القيم في كتابه «الفروسية» في كلام نفيس له عن جهاد الجلاذ وجهاد الجدال قال: «فروسية العلم والبيان وفروسية الرمي والطعان فالفروسية فروسية فروسيتان فروسية العلم والبيان وفروسية الرمي والطعان ولما كان أصحاب النبي ﷺ أكمل الخلق في الفروسيتين فتحوا القلوب بالحجة والبرهان والبلاد بالسيف والسنان وما الناس إلا هؤلاء الفريقان ومن عداهما فإن لم يكن رداءً وعاوناً لهما فهو كل على نوع الإنسان وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بجدال الكفار والمنافقين وجلاذ أعدائه المشاقين والمحاربن فعلم الجدال والجلاذ من أهم العلوم وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد ولا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء والرفعة وعلو المنزلة في الدارين إنما هي لهاتين الطائفتين وسائر الناس رعية لهما منقادون لرؤسائهما». اهـ.

وقال في كتابه مفتاح دار السعادة: (فصل حاجة الناس إلى الشريعة ضرورة فوق حاجتهم إلى كل شيء

ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها إلا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب وهم أصح أبدانا وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ولعل أعمارهم متقاربة وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم وجعل لكل قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجم عليهم من الأدوية حتى أن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية فمبناها على الوحي المحض والحاجة إلى التنفس فضلا عن الطعام والشراب لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبدان وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسم). ١.١هـ.

وأخرج عبد البر في «فضل العلم» عن إبراهيم النخعي قال: «يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه يوم القيامة فيخف فيجاء بشيء أمثال الغمام فيوضع في كفة ميزانه فترجح فيقال له: أتدري ما هذا؟ فيقول: لا. فيقال له: هذا فضل العلم الذي كنت تعلمه الناس».

وأخرج ابن المبارك في الزهد عن حماد بن أبي سليمان قال: يجيء رجل يوم القيامة فيرى عمله محتقرا فبينما هو كذلك إذ جاءه مثل السحاب حتى يقع في ميراثه فيقال: هذا ما كنت تعلم الناس من الخير فورث بعدك فأجرت فيه.